الْحَجُّ لِمَنِ اسْتَطَاعَ

الْخُطْبَةُ الْأُولَى:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَتَحَ لِعِبَادِهِ أَبْوَابَ الطَّاعَاتِ، وَيَسَّرَ لَهُمْ أَنْوَاعَ الْقُرُبَاتِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَى الْبَرِيَّاتِ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَتْبَاعِهِ مَا لَبَّى الْحَجِيجُ فِي الْمَشَاعِرِ الْمُقَدَّسَاتِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَأُوصِيكُمْ **عِبَادَ اللَّهِ** وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ، قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ**﴾[١].

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ: تَهْفُو قُلُوبُ النَّاسِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ، إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، اسْتِجَابَةً لِنِدَاءِ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ، إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الَّذِي خَاطَبَهُ رَبُّهُ فَقَالَ: ﴿**وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ**﴾[٢]، لِيَحُجَّ مِنْهُمُ الْبَيْتَ ﴿**مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**﴾[٣]، فَحَجُّ هَذَا الْبَيْتِ لَا يَجِبُ إِلَّا عَلَى الْمُسْتَطِيعِ، الَّذِي تَوَفَّرَتْ لَهُ مُمَكِّنَاتُ الْحَجِّ؛ مِنْ قُدْرَةٍ صِحِّيَّةٍ وَمَالِيَّةٍ، وَاسْتِكْمَالٍ لِلتَّصَارِيحِ وَالْإِجْرَاءَاتِ الْإِدَارِيَّةِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَهُوَ مَعْذُورٌ، وَعَلَى نِيَّتِهِ الصَّادِقَةِ مَأْجُورٌ، كَأَنَّهُ مَعَ الْحُجَّاجِ وَالْمُلَبِّينَ، كَيْفَ لَا، وَنَبِيُّنَا ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا، مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا؛ إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ**»[٤]. وَأَنْتَ يَا مَنْ سَبَقَ لَكَ الْحَجُّ مَرَّةً فِي عُمُرِكَ؛ لَقَدْ أَدَّيْتَ فَرْضَ رَبِّكَ، وَاقْتَدَيْتَ بِهَدْيِ نَبِيِّكَ، فَإِنَّهُ ﷺ لَمْ يَحُجَّ مُنْذُ نُزُولِ الْوَحْيِ عَلَيْهِ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً، وَخَطَبَ ﷺ فِي النَّاسِ قَائِلًا: «**الْحَجُّ مَرَّةً، فَمَنْ زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ**»[٥].

عِبَادَ اللَّهِ: لَيْسَ مِنْ فِقْهِ الْمَرْءِ أَنْ يَسْتَكْثِرَ مِنَ الْحَجِّ، يَقُولُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: **يَقُولُ أَحَدُهُمْ: أَحُجُّ أَحُجُّ، أَمَا إِنَّكَ قَدْ حَجَجْتَ؛ صِلْ رَحِمًا، أَحْسِنْ إِلَى جَارٍ، تَصَدَّقْ عَلَى مَغْمُومٍ**(٦). فَعَلَى الْمُؤْمِنِ إِذَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِحَجَّةِ الْإِسْلَامِ، أَنْ لَا يُزَاحِمَ غَيْرَهُ مِنْ حُجَّاجِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، فَالْحَجُّ فِي حَقِّهِ نَافِلَةٌ، وَفِي حَقِّ مَنْ لَمْ يَحُجَّ فَرِيضَةٌ، وَالْفَرْضُ أَوْلَى مِنَ النَّفْلِ، فَحَرِيٌّ بِهِ أَنْ يُنْفِقَ مِمَّا خَصَّصَهُ لِلْحَجِّ مِنْ مَالٍ، فِي أَوْجُهِ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، كَوَقْفٍ عَلَى حَاجٍّ، أَوْ تَصَدُّقٍ عَلَى مُحْتَاجٍ، قَالَ الْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: **الصَّدَقَةُ أَفْضَلُ مِنْ حَجِّ التَّطَوُّعِ**(٧). وَلَمَّا سُئِلَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ نَفَقَةِ حَجِّ التَّطَوُّعِ قَالَ: **يَضَعُهَا فِي أَكْبَادٍ جَائِعَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ**(٨). فَأَبْوَابُ الْخَيْرِ مِنْ غَيْرِ الْحَجِّ كَثِيرَةٌ، فَمَنْ لَمْ يَتَيَسَّرْ لَهُ الْحَجُّ فَلَا يَحْزَنْ وَلَا يَتَأَسَّفْ، وَلَا يَتَسَخَّطْ وَلَا يَتَأَفَّفْ، وَلَا يَتَحَايَلْ عَلَى الْقَانُونِ وَيَلْتَفَّ، فَيَحْرِمَ نَفْسَهُ أَجْرَ الرِّضَا، وَيُضَيِّعَ عَلَيْهَا ثَوَابَ الصَّبْرِ، وَيُعَرِّضَ نَفْسَهُ لِمَا لَا تُحْمَدُ عَاقِبَتُهُ. أَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ احْتِرَامَ التَّرْتِيبَاتِ الْإِدَارِيَّةِ، وَالِالْتِزَامَ بِالْقَوَانِينِ الْمَرْعِيَّةِ، وَإِفْسَاحَ الْمَجَالِ لِمَنْ لَمْ يُؤَدِّ هَذِهِ الْفَرِيضَةَ، مِنْ أَعْظَمِ أَبْوَابِ الْخَيْرِ، وَأَبْلَغِ وُجُوهِ الْبِرِّ؟ أَيْنَ هُوَ مِنْ تِلْكَ الْأَعْمَالِ الَّتِي يُؤَدِيهَا وَهُوَ مُقِيمٌ فِي بَلَدِهِ، تَعْدِلُ فِي ثَوَابِهَا حَجَّ بَيْتِ رَبِّهِ، وَمِنْهَا مَا أَخْبَرَ بِهِ نَبِيُّنَا ﷺ فِي قَوْلِهِ: «**مَنْ صَلَّى الغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ، ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ؛ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ، تَامَّةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ**»(٩). ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾(١٠). أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَقَّ حَمْدِهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيَّ مِنْ بَعْدِهِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ: هَا هِيَ الْعَشْرُ الْأُوَلُ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ قَدْ أَظَلَّتْكُمْ بِنَفَحَاتِهَا، وَحَلَّتْ فِي رِحَابِكُمْ بِبَرَكَاتِهَا، وَهِيَ وَاللَّهِ أَيَّامٌ عَظِيمَةٌ عِنْدَ رَبِّكُمْ، أَلَمْ تَسْمَعُوا قَوْلَ حَبِيبِكُمْ ﷺ: «**أَفْضَلُ أَيَّامِ الدُّنْيَا: أَيَّامُ الْعَشْرِ**»(١١)، فَيَا لَرَحْمَةِ اللَّهِ بِكُمْ، وَيَا لَمِنَّهِ وَكَرَمِهِ عَلَيْكُمْ، أَنْ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ، نَظِيرَ مَا شَرَعَهُ لِحُجَّاجِ بَيْتِهِ الْحَرَامِ، فَإِنْ كَانُوا فِي يَوْمِ عَرَفَةَ يَقِفُونَ عَلَى عَرَفَاتٍ، وَيَسْتَمْطِرُونَ الْمَغْفِرَةَ وَالرَّحَمَاتِ، فَهَا أَنْتُمْ تُمْضُونَ هَذَا الْيَوْمَ بِالصِّيَامِ، وَتَرْجُونَ مِنْ رَبِّكُمْ مَغْفِرَةَ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ، أَلَمْ يَقُلْ نَبِيُّكُمْ ﷺ: «**صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ: يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ وَالْبَاقِيَةَ**»(١٢)، وَإِنْ كَانَ الْحُجَّاجُ يَجْأَرُونَ إِلَى اللَّهِ فِي هَذَا الْيَوْمِ بِالتَّلْبِيَةِ وَالدُّعَاءِ، فَإِنَّكُمْ تَرْفَعُونَ فِيهِ أَكُفَّ الضَّرَاعَةِ وَالرَّجَاءِ، أَلَمْ يَبْلُغْكُمْ قَوْلُ نَبِيِّكُمْ ﷺ: «**أَفْضَلُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ**»(١٣). فَإِذَا أَتَى يَوْمُ الْعِيدِ، وَسَارَعَ الْحُجَّاجُ إِلَى ذَبْحِ الْهَدْيِ، فَإِنَّكُمْ تَتَقَرَّبُونَ إِلَى رَبِّكُمْ بِذَبْحِ الْأَضَاحِيِّ، ثُمَّ تَجْعَلُونَ مِنْ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ «**أَيَّامَ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَذِكْرٍ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**»(١٤). أَلَا فَاسْتَحْضِرُوا هَذِهِ الْمَعَانِيَ الْعَظِيمَةَ، وَاسْتَثْمِرُوا هَذِهِ الْأَيَّامَ الْجَلِيلَةَ، وَكُونُوا فِي طَاعَةِ رَبِّكُمْ مُجْتَهِدِينَ، وَلِفَضْلِهِ شَاكِرِينَ. وَأَنْتُمْ يَا مَنْ أَكْرَمَكُمُ اللَّهُ بِتَيْسِيرِ أُمُورِ

حَجِّكُمْ، احْمَدُوهُ عَلَى نِعْمَتِهِ عَلَيْكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا ﴿**رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ**﴾[١٥]، ﴿**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى**﴾[١٦]، وَلَا تَنْسَوْا مِنْ دُعَائِكُمْ أَهْلَكُمْ وَقِيَادَتَكُمْ، وَخُصُّوا بِالدُّعَاءِ وَطَنَكُمُ، الَّذِي قَدَّمَ لَكُمْ مِنَ الرِّعَايَةِ أَكْمَلَهَا، وَمِنَ الْخِدْمَاتِ أَحْسَنَهَا، وَكُونُوا لَهُ خَيْرَ سُفَرَاءَ؛ بِالتَّمَسُّكِ بِقِيَمِهِ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى سُمْعَتِهِ. نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُيَسِّرَ لِلْحُجَّاجِ سَفَرَهُمْ، وَيَتَقَبَّلَ مِنْهُمْ حَجَّهُمْ، وَأَنْ يُعِيدَهُمْ سَالِمِينَ إِلَى وَطَنِهِمْ.

﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[١٧].

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مُخْلِصِينَ لَكَ الدِّينَ، وَأَكْرِمْنَا بِمَا تُكْرِمُ بِهِ حُجَّاجَ بَيْتِكَ يَا كَرِيمُ، مِنَ الْمَغْفِرَةِ وَالثَّوَابِ الْعَظِيمِ، وَوَفِّقْنَا اللَّهُمَّ لِاغْتِنَامِ الْعَشْرِ، وَاكْتُبْ لَنَا فِيهَا الْمَغْفِرَةَ وَالْأَجْرَ.

اللَّهُمَّ أَدِمْ عَلَى دَوْلَةِ الْإِمَارَاتِ الِاسْتِقْرَارَ، وَالرُّقِيَّ وَالِازْدِهَارَ.

اللَّهُمَّ وَفِّقْ رَئِيسَ الدَّوْلَةِ، الشَّيْخَ مُحَمَّد بن زَايد، وَنُوَّابَهُ وَإِخْوَانَهُ حُكَّامَ الْإِمَارَاتِ، وَوَلِيَّ عَهْدِهِ الْأَمِينَ؛ لِمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ.

اللَّهُمَّ ارْحَمِ الشَّيخ زَايد، وَالشَّيخ رَاشِد، وَالْقَادَةَ الْمُؤَسِّسِينَ، وَأَدْخِلْهُمْ بِفَضْلِكَ فَسِيحَ جَنَّاتِكَ، وَاشْمَلْ شُهَدَاءَ الْوَطَنِ بِرَحْمَتِكَ.

عِبَادَ اللَّهِ: اذْكُرُوا اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ يَزِدْكُمْ. وَأَقِمِ الصَّلَاةَ.

(١) الحشر: ١٨.
(٢) الحج: ٢٧.
(٣) آل عمران: ٩٧.
(٤) البخاري: ٤٤٠٤.
(٥) أبو داود: ١٧٢١. وأحمد: ٣٢٠٤ واللفظ له.
(٦) الفروع وتصحيح الفروع: ٣٨٧/٤ والزهد للإمامِ أحمد: ١٤٨٨.
(٧) البحر المحيط في أصول الفقه: ١٣١/١.
(٨) الفروع وتصحيح الفروع ٣٨٦/٤.
(٩) الترمذي: ٥٨٦.
(١٠) النساء: ٥٩.
(١١) كشف الأستار عن زوائد البزار: ١١٢٨
(١٢) مسلم: ١١٦٢.
(١٣) الموطأ: ٥٠١.
(١٤) أبو داود: ٢٨١٣.
(١٥) البقرة: ١٩٧.
(١٦) البقرة: ١٩٧.
(١٧) الأحزاب: ٥٦.

تَنْبِيهٌ

أَيُّهَا الْمُصَلُّونَ: حِرْصًا مِنَ الْهَيْئَةِ الْعَامَّةِ لِلشُّؤُونِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْأَوْقَافِ وَالزَّكَاةِ عَلَى فَتْحِ أَبْوَابِ الْخَيْرِ أَمَامَ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ، أَطْلَقَتْ مُبَادَرَةً وَقْفِيَّةً بِعُنْوَانِ: (**وَقْفُ حُجَّاجِ الْإِمَارَاتِ**). فَلْنُسْهِمْ جَمِيعًا فِي هَذِهِ الْمُبَادَرَةِ الْوَقْفِيَّةِ، الَّتِي يُخَصَّصُ رَيْعُهَا لِخِدْمَةِ حُجَّاجِ الْإِمَارَاتِ لِبَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، مِنْ خِلَالِ الْمَوْقِعِ الْإِلِكْتْرُونِيِّ وَالتَّطْبِيقِ الذَّكِيِّ التَّابِعِ لِلْهَيْئَةِ، لَعَلَّ اللَّهَ يَكْتُبُ لَنَا أَجْرَ حَجَّةٍ تَامَّةٍ، وَيَتَقَبَّلُهَا مِنَّا صَدَقَةً جَارِيَةً، يَدُومُ أَجْرُهَا، وَلَا يَنْقَطِعُ ثَوَابُهَا.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.